

الألفاظ الدالة على المطر وسياق ورودها في القرآن الكريم والشعر الجاهلي

Terms Denoting Rain and the Contexts in Which They Occurred in the Holy Quran and Pre-Islamic Poetry

محمود البشتاوي¹، أ.د. أيمن الأحمد²¹ وزارة التربية والتعليم- الأردن² قسم اللغة العربية وآدابها- كلية الآداب- جامعة إربد الأهلية- إربد- الأردن

تاريخ النشر 18-07-2025	تاريخ القبول : 30-06-2025	تاريخ الارسال: 10-06-2025
------------------------	---------------------------	---------------------------

ملخص : تسعى هذه الدراسة إلى تبين الألفاظ الدالة على المطر في القرآن الكريم والشعر الجاهلي وسياق ورودها في كل منهما، والتوصل إلى مدى التشابه والاختلاف في ذلك، ومحاولة تفسير هذا التشابه أو الاختلاف. وكان منهج الدراسة هو المنهج الاستقرائي والتحليلي، وذلك من خلال استقصاء الألفاظ الدالة على المطر في القرآن الكريم والشعر الجاهلي، ثم تبين التشابه أو الاختلاف، وتفسير ذلك. وخُصت الدراسة إلى عدة نتائج من أبرزها: أنه بالرغم من وجود تشابه في دلالة عدد من الألفاظ الدالة على المطر بين القرآن الكريم والشعر الجاهلي؛ إلا أنه حدث تطور واضح في استخدام تلك الألفاظ للتعبير عن الرؤية القرآنية التي اختلفت عن رؤية الشاعر الجاهلي، إلى جانب أن القرآن الكريم استخدم ألفاظاً جديدة للدلالة على المطر لم ترد في الشعر الجاهلي. أما سياقات ورود ألفاظ المطر فبرز هناك اختلاف واضح بين سياقات ورود المطر في القرآن الكريم والشعر الجاهلي، إذ استخدم القرآن الكريم المطر في وظيفة جديدة تخدم تعبيره عن رؤيته .

الألفاظ الدالة: قرآن كريم، شعر جاهلي، مطر.

Abstract: This study seeks to identify the words that denote rain in the Qur'an and pre-Islamic poetry and analyze their contexts in both, while exploring the similarities and differences between them and attempting to interpret these findings. The study utilized an inductive and analytical approach, surveying the words related to rain in the Qur'an and pre-Islamic poetry, analyzing their meanings and contexts, and then identifying and interpreting the similarities and differences. The study concluded that, although there are shared words between the Qur'an and pre-Islamic poetry regarding rain, the Qur'an brought about a significant evolution in the use of these words, reflecting its unique vision, which contrasted with that of the pre-Islamic poet. It also introduced new terms to indicate rain that were absent from pre-Islamic poetry. Furthermore, the contexts in which the Qur'an used rain-related words were distinct, as the Qur'an employed them to serve its divine vision, unlike the contexts observed in pre-Islamic poetry.

Keywords: Quran, pre-Islamic poetry, rain

مقدمة

تأتي هذه الدراسة استناداً إلى أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين وعلى سنن العرب في كلامها، ويروى أن عمر بن الخطاب سأل عن معنى التخوف في قوله تعالى: ﴿...أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ...﴾ (النحل /47)، فقام شيخ من هذيل، فقال: التخوف هو التنقص، واستشهد ببيت من الشعر. فقال عمر: عليكم بديوانكم لا تصلوا. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهليين، فإن فيه تفسير كتابكم (الشاطبي د. ت، ج2، ص64)، وقد استند نافع بن الأزرق في أسئلته التي وجهها لابن عباس إلى أن القرآن إنما نزل بلسان عربي مبين، وأن على ابن عباس، إن أراد أن يظهر صحة علمه بتفسير القرآن، أن يستشهد بالشعر في تفسيره لكل مسألة، وقد أجاب ابن عباس عن أكثر من مئتي مسألة مستشهداً بالشعر في كل واحدة، بعد أن يسأله نافع سؤاله المتكرر: وهل تعرف العرب ذلك في أشعارهم؟ وفي ضوء ذلك تبدو معاينة العلاقة بين القرآن الكريم والشعر الجاهلي مسألة مهمة في فهم القرآن الكريم (السامرائي، 1968، ص8-9).

ومعاينة العلاقة بين القرآن الكريم والشعر الجاهلي لا تهدف فقط إلى النظر في مواضع اتفاق القرآن مع ما جاء في ذلك من الشعر من ألفاظ وتراكيب وأساليب، بل تبدو معاينة مواضع الاختلاف أكثر أهمية من ناحية رصد التطور الذي أحدثه القرآن في اللغة لتحمل رؤيته الجديدة التي تختلف عن رؤية الشاعر الجاهلي للحياة والكون، فالقرآن الكريم جاء ليحدث تغييراً عميقاً في المجتمع الجاهلي، وهذا التغيير يستند إلى رؤية جديدة تنقل الإنسان الجاهلي إلى طور حضاري جديد، وبذلك فإننا ننظر في أي موضوع ورد في القرآن الكريم والشعر الجاهلي من زاويتين، الأولى تتصل بموافقة ما جاء في القرآن لما جاء في الشعر الجاهلي، أي لما جاء في اللسان العربي الذي نزل به القرآن، والثانية مفارقة ما جاء في القرآن لما جاء في الشعر، تلك المفارقة التي تميز بها القرآن الكريم، وكانت تعبيراً عن الرؤية الجديدة التي حملها.

في ضوء ما سبق ننظر هنا في موضوع المطر الذي كان واحداً من الموضوعات المهمة التي وردت في كل من القرآن الكريم والشعر الجاهلي، وهو من الموضوعات التي كان لها أهمية خاصة عند العرب بسبب البيئة التي كانوا يعيشون فيها، واستناداً إلى ذلك تسعى هذه الدراسة إلى تبين تلك الألفاظ الدالة على المطر في القرآن الكريم والشعر الجاهلي والسياقات التي وردت فيها بهدف التوصل إلى مواضع التوافق والاختلاف في استخدام تلك الألفاظ وسياقاتها في القرآن الكريم والشعر الجاهلي، ومحاولة تفسير هذا التوافق أو الاختلاف.

أمّا منهجنا في هذه الدراسة فهو المنهج الاستقرائي والتحليلي، وذلك لرصد ألفاظ المطر والتعرف على سياقاته التي وردت فيها في كل من القرآن الكريم والشعر الجاهلي، ثم تحليل أوجه التشابه والاختلاف بين القرآن الكريم والشعر الجاهلي.

وكان عدد من الدارسين قد قدم دراسات في المطر في القرآن الكريم، أو المطر في الشعر الجاهلي، ولم نجد دراسة تناولت المقارنة بين المطر في القرآن الكريم والشعر الجاهلي من حيث ألفاظ المطر والسياقات التي وردت فيها. ومن الدراسات التي تناولت المطر وألفاظه في القرآن الكريم:

- الألفاظ المعبرة عن المطر في القرآن الكريم لحسين البكري (البكري، 2011)، وقد انتقعت دراستنا من الجهد المبذول في هذه الدراسة.

- آيات الغيث في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، لسعيد الهدية (الهدية، 2020).

وَمِنْ أُبْرَزِ الدرسات التي تناولت المطر في الشعرِ الجاهليِّ كتاب المطر في الشعرِ الجاهليِّ لأنور أبو سويلم (أبو سويلم، 1987)، وتناول هذا الكتاب المطر في الشعر الجاهلي من خلال بيان تصوُّر الجاهليين للمطر، وحاول ربط الشعر الجاهلي بالمعتقد الجاهلي المبني على الأساطير، وبين مواضع ورود المطر في الشعر الجاهلي، وقد أفدنا في دراستنا هذه كثيراً من هذا الكتاب، ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن أبو سويلم قد أفرد مبحثاً قصيراً في الفصل الأول من كتابه عن المطر في القرآن الكريم (أبو سويلم، 1987، ص17) ، ووصل إلى أن تصور المطر للقرآن " جاء موافقاً لتصور الفكر الجاهلي" (أبو سويلم، 1987، ص17) ، وهذا مما نحاول فحصه في هذه الدراسة.

وتختلف دراستنا هذه عن الدراسات السابقة بأنها تناولت الألفاظ الدالة على المطر في القرآن الكريم والشعر الجاهلي من خلال رصد هذه الألفاظ ، وتبيين السياقات التي وردت فيها في كل من القرآن الكريم والشعر الجاهلي، وبين مواضع الاتفاق والاختلاف، ومحاولة تقديم تفسير لذلك الاتفاق أو الاختلاف .

1.1- الألفاظ الدالة على المطر في الشعر الجاهلي:

حاول صلاح جابر تقصي الألفاظ الدالة على المطر في اللغة العربية، وأحصى مئة وتسعة وسبعين لفظاً ، ولم يستشهد في أغلب هذه الألفاظ بما ورد في الشعر الجاهلي (جابر، 2009، ص186) ، وحاولنا هنا أن نتتبّع الألفاظ الدالة على المطر التي وردت في الشعر الجاهلي ، ووجدنا الألفاظ الآتية : المطر . الغيث . ماء السماء . الودق . الوابل . الرش . الصيّب . الطل . الرِّذاذ . الهطل . السَّيل . السَّجَم . السَّماء . القطر . الشُّبوب . الندى . وفيما يلي سنعرض لمجيء هذه الألفاظ في أمثلة من الشعر الجاهلي:

— المَطَرُ : جاء لفظ المطر ومشتقاته في الشعر الجاهلي في سياقات مختلفة، فأتى مرتبطاً بالقوة، وعاملاً من عوامل الطبيعة القاسية، وأتى أيضاً في سياق التعبير عن الخير والخصب، ومما ورد في سياق التعبير عن القوة قول النابغة الذبياني يصف جيش عمرو بن هند (النابعة الذبياني، دت، ص206) :

إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِمْ صَوْلَ ذِي لَيْدٍ فِي عَارِضٍ لَابِنٍ هُنْدٍ يُمَطِّرُ الشَّرَرَ

ويلاحظ هنا أن (يمطر) هنا جاءت على سبيل المجاز . ويأتي لفظ المطر مرتبطاً بما هو خير ، ويشيع أن يذكر المطر حين يفخر الشاعر أو يمدح بالكرم، من ذلك قول علباء بن أرقم (الأصمعي، 1993، ص159) :

وَأَنَّ يَدَ النُّعْمَانِ لَيْسَتْ بِكَرَّةٍ وَلَكِنْ سَمَاءٌ تُمَطِّرُ الْوَيْلَ وَالْدَيْمَ

— ماء السماء

ورد "ماء السماء" للدلالة على المطر في قول النابغة الذبياني (النابعة الذبياني، دت، ص118) :

وكانت لهم ربيعةٌ يحذرونها إذا خضخضت ماء السماء القبائلُ

وقال عمرو بن قعاس (الأخفش الأصغر، 1984، ص214) :

وَمَاءٌ لَيْسَ مِنْ عِدِّ رَوَاءٍ وَلَا مَاءُ السَّمَاءِ قَدْ اسْتَقَيْتُ

— الغيث: استخدم لفظ الغيث للدلالة على المطر في صورته الإيجابية في الشعر الجاهلي استخداماً واسعاً، وفي سياقات مختلفة، ومن ذلك قول المتلمس الضبعي يدعو الغيث لسقي قبره (المتلمس الضبعي، 1970، ص256) :

فَمُرّاً عَلَى قَبْرِي فَقوماً فسلماً وَقولا : سقاك الغيثُ والقطرُ يا قبرُ

— **الْوَدْقُ**: "المطر كله شديده وهينّه" (ابن منظور، دت، مادة (ودق)) . ووردت لفظة الودق في قول بشر بن أبي خازم يصف كيف جادت الأنواء بالمطر على الطلل (بشر بن أبي خازم، 1960، ص 157) :

جَادَتْ لَهُ الدَّلْوُ وَالشَّعْرَى وَنَوَّهُمَا
بِكُلِّ أَسْحَمٍ دَانِي الْوَدْقِ مُرْتَجِفٍ

— **الوابل**: ورد لفظ الوابل في الشعر الجاهلي للدلالة على المطر الشديد كما في قول لبيد بن ربيعة العامري (- لبيد بن ربيعة، 1993، ص 246):

مَرَّتِ الْجَنُوبُ لَهُ الْعَمَامَ بِوَابِلٍ وَمُجَلِّلٍ قَرَدَ الرِّيَابِ مُدِيمٍ
— **الرَّشَّ**: المطر القليل، والجمع رَشَاشٌ؛ وقال ابن الأعرابي: الرَّشَّ أول المطر" (ابن منظور، دت، مادة: رشش) . ورد لفظ الرَّشَّ في قول زهير بن أبي سلمى يتحدث عن المطر الذي هيجته ريح الجنوب (زهير بن أبي سلمى، 1980، ص 123):

يَشْمَنْ بُرُوقَهُ وَيَرْشُ أَرِيَّ الْـ جُنُوبٍ عَلَى حَوَاجِبِهَا الْعَمَاءُ
— **الصَّيْبُ**: الصَّيْبُ بتشديد الياء وكسرهما السحاب ذو الصَّوْب، و"الصوب نزول المطر، ... ويقال الصَّيْبُ للسحاب ذو الصَّوْب، وجعل الصَّوْبُ لنزول المطر إذا كان بقدر ما ينتفع به" (ابن منظور، دت، مادة: صوب). وقد ورد "الصَّيْبُ" في قول تَابُطُ شَرًّا في رثاء الشنفرى (تَابُطُ شَرًّا، 1984، ص 78):

عَلَى "الشَّنْفَرَى" سَارِي الْعَمَامِ فَرَائِحُ غَزِيرُ الْكَلَى وَصَيْبُ الْمَاءِ بَاكِرُ
ولعل من الواضح أن لفظ الصَّيْبُ هنا عبّر عن المطر الغزير المتدفق.
— **الطَّلُ**: "الطَّلُ: الْمَطَرُ الصَّغَارُ الْقَطَرُ الدَائِمُ، وهو أَرْسُخُ الْمَطَرِ نَدَى . ابن سيده: الطَّلُ أَخْفُ الْمَطَرِ... وجمعه طِلَالٌ" (- ابن منظور، دت، مادة (طلل)) . ومن الشعر الذي ورد الطل فيه قول امرئ القيس يشبه ناقته بثور الوحش الذي لفته الريح والطلال (امرؤ القيس، 1990، ص 190):

كَأَنَّهَا مُفَرَّدٌ شُبُوبٌ تَلْقُهُ الرِّيحُ وَالطَّلَالُ
— **الرِّذَاذُ**: "الرِّذَاذُ، المطر، وقيل: الساكن الدائم الصغار القطر كأنه غبار، وقيل: هو بَعْدَ الطَّلِّ ... قال الأصمعي: أَخْفُ الْمَطَرِ وَأَضْعَفُهُ الطَّلُ ثم الرِّذَاذُ" (ابن منظور، دت، مادة: رذذ). وورد الرذاذ في قول بشر بن أبي خازم يصف ثور الوحش في ليلته (- بشر بن أبي خازم، الديوان، 1960، ص 56):

يَجْرِي الرِّذَاذُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُنْكَرِسٌ كَمَا اسْتَكَانَ لَشَكْوَى عَيْنَيْهِ الرَّمْدُ
— **الهَظَلُ**: الهَظَلُ والهَظَلَانُ: الْمَطَرُ الْمُتَفَرِّقُ ... وقيل هو العظيم القطر (ابن منظور، دت، مادة: هطل). وورد لفظ الهطلان في قول امرئ القيس يصف تأود حصانه كعرق نبت الرخامى الذي يهتز في المطر (امرؤ القيس، 1990، ص 87):

إِذَا مَا جَنَّبَاهُ تَأَوَّدَ مِنْهُ ... كَعِرْقِ الرُّخَامَى اهْتَزَّ فِي الْهَظَلَانِ

— **السَّبَلُ**: "السَّبَلُ، بالتحريك: الْمَطَرُ، وقيل: الْمَطَرُ الْمُسْبِلُ . وقد أُسْبِلَتِ السَّمَاءُ، وَأُسْبِلَ دَمْعُهُ، وَأُسْبِلَ الْمَطَرُ والدَمْعُ إِذَا هَظَلَا... ابن الأعرابي: السَّبَلَةُ الْمَطَرَةُ الْوَاسِعَةُ" (ابن منظور، دت، مادة: سبل) . قال عنترة (عنترة بن شداد، 1992، ص 247):

لَعَبَتْ بِهَا الْأَنْوَاءُ بَعْدَ أَنْيْسِهَا وَالرَّامِسَاتُ وَكُلُّ جَوْنٍ مُسْبِلٍ

— **السَّجْمُ**: "سَجَمَتِ السَّحَابَةُ مَطَرَهَا تَسْجِيمًا وَتَسْجَامًا إِذَا صَبَّتْهُ ... وَأَسْجَمَتِ السَّحَابَةُ: دَامَ مَطَرُهَا" (ابن منظور، دت، مادة: سجم) . قال الْجُمَيْحُ الْأَسَدِيُّ يصف الجيش (الأصمعي، 1993، ص 218):

كنشاصِ نوءِ المِرْزَمِ السَّجَمِ

لَجِبِ إِذَا ابْتَدُّوا قَنَابِلَهُ

— السماء: يطلق لفظ السماء على المطر من باب المجاز ، قال المثقب العبدى (المثقب العبدى، 1971، ص 119):

فلقيته أهلاً وسهلاً ومرحباً

فلما أتاني والسماء تبلى

— "الْقَطَرُ: الْمَطَرُ. وَالْقَطَارُ: جَمْعُ قَطْرٍ وَهُوَ الْمَطَرُ (ابن منظور، دبت، مادة: قطر) قال عامر بن الطفيل (عامر بن الطفيل، 1979، ص 46):

وَأَقْحَطَ عَنْهَا الْقَطْرَ وَاصْفَرَ عَوْدُهَا

إِذَا سَنَّةٌ عَزَّتْ وَطَالَ طَوَالُهَا

— الشؤيوب: " الشَّائِبُ مِنَ الْمَطَرِ: الدُّفْعَاتُ. وَشُؤْيُوبُ الْعَدُوِّ مِثْلُهُ. ابن سيده: الشُّؤْيُوبُ: الدُّفْعَةُ مِنَ الْمَطَرِ " (ابن منظور، دبت، مادة (شَاب) . قال امرؤ القيس يصف وابل المطر (امرؤ القيس، 1990، ص 145):

فيه شؤيوب جنوبٍ منفجر

راح ثمره الصَّبَا ثم انتحى

— الندى: يرتبط الندى بالمطر، جاء في اللسان: " وقد نَدَيْتُ لَيْلَتَنَا نَدًى ، فهي نَدِيَّةٌ ، وكذلك الأرض ، أندائها المطر " (ابن منظور، دبت، مادة: ندى). ويسقط الندى كالمطر، قال قيس بن الحداية (قيس بن الحداية، 1979، ص 205):

خَضُولٌ كَظْهَرِ الْبُرْجِدِ الْمُتَصَبِّبِ

إِذَا اشْتَدَّ إِرْهَامُ النَّدى فَهُوَ سَاقِطٌ

1.2- سياقات ورود المطر في الشعر الجاهلي

تتبع أنور أبو سويلم مواضع ورود المطر في الشعر الجاهلي (أبو سويلم، 1987، ص 103، 145، 175.) ، ويمكن تلخيص أبرز ما انتهى إليه بأن الشاعر الجاهلي ذكر المطر أو تحدث عنه في السياقات الآتية :

— وصف الطلل : وجاء ذكر المطر في سياق الحديث عن الأطلال في صورتين، الأولى في أنه عامل من عوامل اندثار الطلل ومحو الآثار، قال حسان بن ثابت (حسان بن ثابت، 1994، ص 186) :

أَهَاجَكَ بِالْبَيْدَاءِ رَسْمَ الْمَنَازِلِ نَعَمْ قَدْ عَفَاها كُلُّ أَسْحَمَ هَاطِلِ

أما الصورة الثانية فتظهر حين يشير الشاعر إلى أن المطر سقا تلك المنازل، قال ليبيد بن ربيعة (ليبيد بن ربيعة، 1993، ص 201):

وَدَقَّ الرِّوَاعِدُ جُودَهَا فَرَهَا مُهَا

رُزِقَتْ مَرَابِيعَ النُّجُومِ وَصَابَهَا

— وصف المرأة: من الشائع في وصف المرأة في الشعر الجاهلي أن يذكر المطر مرتبطاً برضاب المرأة ، قال عبيد بن الأبرص (عبيد بن الأبرص، 1994، ص 39):

مُشْعَشَعَةٌ تَرْخِي الْإِزَارَ قَدِيحُ

إِذَا دُقَّتْ فَاهَا قُلَّتْ طَعْمُ مَدَامَةٍ

لَهَا ثَمَنٌ فِي الْبَائِعِينَ رِيحُ

بِمَاءٍ سَحَابٍ فِي أَبَارِيقِ فِضَّةٍ

— قصة الحيوانات الوحشية التي شُبِّهَتْ بها الناقة:

أ- قِصَّةُ حِمَارِ الْوَحْشِ: حين يذكر المطر في قصة حمار الوحش، فعادة ما يكون ذلك في ذكر أثره في المناطق الخصبة التي كان الحمار قد رعى فيها، قال ربيعة بن مقروم (ربيعة بن مقروم، 1999، ص 35):

أَطَاعَ لَهُ بِمَعْقَلَةِ التِّلَاحِ

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهُ فَوْقَ جَائِبِ

مِنَ الْأَشْرَاطِ أَسْمِيَّةٌ تَبَاغُ

تِلَاحٌ مِنْ رِيَاضٍ أَتَأَفَّتْهَا

والأسمية جمع سماء بمعنى المطر

ب- قصة ثور الوحش أو البقرة الوحشية: يأتي المطر في قصة ثور الوحش أو البقرة الوحشية صورة من صور المعاناة في ليلة يبحث فيها عن ملجأ، قال النابغة الذبياني يصف حال الثور في تلك الليلة (النابغة الذبياني، دت، ص 18):

سَرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَوَازِ سَارِيَّةٌ تُزْجِي الشَّمَالَ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرْدِ

ج- قصة الظليم: يأتي المطر في قصة الظليم تحدياً يواجهه الظليم، وينجو منه في رحلته إلى البَيْض، قال زهير بن أبي سلمى (زهير بن أبي سلمى، 1980، ص 246-247):

هَلْ تُبْلَغُنِي إِلَى الْأَخْيَارِ نَاجِيَةً تَخْذِي كَوَخْدِ ظَلِيمٍ خَاضِبٍ زَعِرٍ
فِي يَوْمِ دَجْنٍ يُؤَالِي الشَّدَّ فِي عَجَلٍ إِلَى لَوَى حَصْنٍ مِنْ خِيفَةِ الْمَطَرِ

وصف الحصان: يُذكر الحصان في الشعر الجاهلي في سياق الحديث عن القوة والحرب والشجاعة وامتلاك أدوات الحرب والصيد، وقام عدد من الشعراء بتخصيص لوحة مستقلة للحصان في قصائدهم، ومن أشهر تلك اللوحات ما جاء في معلقة امرئ القيس، ولامية زهير بن أبي سلمى في مدح حصن بن حذيفة (زهير بن أبي سلمى، 1980، ص 45). ويُذكر المطر في وصف الفرس عند عدد من الشعراء الجاهليين، فشبهت سرعته بالوابل المُتَحَلِّبِ أو بِشُيُوبِ الْغَيْثِ أو شُيُوبِ الْعِشِيِّ، ويُقرن الشاعر الجاهلي وصف الخيل بالمطر ويربط حركات الفرس إلى السحاب أو المطر أو السيل، فيصور الخيل وهي تعدو في صورة متوترة متحفزة وكأنها تهبط بسرعة في صورة الغيث المسترسل المنسكب (أبو سويلم، 1987، ص 197).

— سياق المدح والفخر

من أبرز الصفات التي يفخر أو يمدح بها ويذكر فيها المطر في الشعر الجاهلي الكرم والجيش وقوته.
أ- الكرم: يرتبط الفخر أو المدح بالكرم بفصل الشتاء وما فيه من رياح وبرد ومطر، إذ يغدو الكرم في مثل هذه الأحوال ذا قيمة عالية، فالمخزون يكون قليلاً، ويكون الكرم من صور الإقدام، ويرتبط الكرم بالسنة المجدية، قال الأسود بن يعفر النهشلي (الأسود بن يعفر، 1970، ص 35):

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الشَّاءِ بِمَالِهِ إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ أُعْزَها الْقَطْرُ

ب- الجيش والحرب: مما يصور به الجيش في الشعر الجاهلي أنه "يهتَزُّ ويتحوَّل إلى سُيُولٍ جارفة تغمر الوديان والسفوح، فتتطلق الخيل في المعركة كعارضٍ متفَجِّرٍ أو كسحابٍ دَفَعَهُ الرِّيحُ فاندفعَ يسحق كلَّ شيءٍ أمامه" (أبو سويلم، 1987، ص 188). قال عنتر بن شداد (عنتر بن شداد، 1992، ص 46):

إِذَا مَا مَشَوْا فِي السَّابِغَاتِ حَسِبْتَهُمْ سُيُولًا وَقَدْ جَاشَتْ بِهِنَّ الْأَبَاطِحُ

— لوحة المطر والسيل: أفرد عدد من الشعراء الجاهليين في قصائد لهم لوحة مستقلة للمطر والسيل، ومن هؤلاء امرؤ القيس في معلقته (امرؤ القيس، 1990، ص 24)، ولبيد بن ربيعة (لبيد بن ربيعة، 1993، ص 33)، وعبيد بن الأبرص (عبيد بن الأبرص، 1994، ص 45):

يَا مَنْ لِيَرِقِ أَيْبُتُ اللَّيْلِ أَرْقُبُهُ مِنْ عَارِضٍ كَبِيَاضِ الصُّبْحِ لَمَاحٍ

ويصف الشعراء في لوحة المطر سقوط المطر وتشكل السيول، وربما يتحدثون عن أثر هذه السيول المدمر، أو أثرها على الأرض التي تخصب بسببها.

2.1- الألفاظ الدالة على المطر في القرآن الكريم

بعد تتبع ألفاظ المطر في القرآن الكريم منتفعين من الجهد الذي بذله حسين البكري في تتبع هذه الألفاظ (البكري، 2011)، وجدنا ما يأتي:

— المطر: ورد لفظ المطر ومشتقاته في القرآن الكريم في المواضع الآتية:

— قوله الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرًا سَوِيًّا﴾ (الفرقان/40).

- قوله تعالى : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف/84).
- قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ (الحجر/74).
- قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بَعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الأنفال/32) .
- قوله تعالى : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ (الشعراء/173) . يقول الطبري أن المقصود بالإمطار هنا " إرسال الله عليهم حجارة من سجيل من السماء " (الطبري، 2001، ج 17 ص 632) .
- قوله تعالى : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ (النمل/58) ، والمطر هنا فيما جاء عند ابن كثير " حجارة من سجيل منضود " (ابن كثير، د.ت، ج 6 ص 201) .
- قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الأحقاف/24) .
- قوله تعالى : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (النساء/102) .

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن لفظ المطر في القرآن الكريم لا يأتي إلا في موضع العذاب والانتقام الإلهي من الطغاة والمفسدين (ابن منظور، د.ت، مادة (مطر).) ، وورد في "فتح الباري" أن ابن عيينة قال: " ما سمى الله في القرآن مطراً إلا عذاباً " (ابن حجر العسقلاني، 1986، ج 8 ص 158) ، وتُعقَّب هذا " بقوله تعالى في سورة النساء: { وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ } " (ابن حجر العسقلاني، 1986، ج 8 ص 159) . ويمكن أن يرى في قوله تعالى: " عارضٌ مُّمْطِرُنَا " في آية سورة الأحقاف أن القوم استخدموا لفظ مطر بدلالة إيجابية ، وقد جعلنا ذلك نحتاط ونقول إن أغلب استخدام القرآن للفظ المطر ومشتقاته جاء في سياق العذاب والانتقام، إلا أنه يمكن أيضاً أن نرى أن الدلالة السلبية لم تُفارق هذين الموضعين ، ففي الموضع الأول حين تُكْمِل الآية إلى نهايتها يتّضح أن المطر المذكور عذاب ، وكأنّ القرآن الكريم يجعل استخدامهم للفظه مُّمْطِرُنَا موحياً بأنهم على غير حق ، وأن ما سيستقبلونه هو مطر العذاب ، وبذلك قد لا يخرج استخدام هذه اللفظة عن قاعدة أن القرآن استخدم المطر للعذاب وليس للخير . أما قوله تعالى : " وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ " ، فمن الواضح أن المطر ارتبط بالأذى ، وبذلك يظل المطر مُستخدماً في سياق سلبي وإن لم يكن في سياق العذاب الشديد ، وإذا أخذنا هذا بعين الاعتبار نستطيع القول إن استخدام القرآن الكريم المطر للدلالة على العذاب والأذى لم يخرج عن القاعدة القائلة بأن ألفاظ المطر في القرآن كانت في سياق سلبي ومرتبطة بالعذاب والأذى .

والأمر الآخر الذي يمكن ملاحظته في المواضع التي استخدم فيها القرآن المطر في سياق العذاب والانتقام، أن المطر ورد فيها على سبيل المجاز، ولم يكن المقصود به الماء المنزل من السماء، فأشار بعضها بصورة واضحة إلى أن المطر كان حجارة كما في آيتي سورتي الحجر والأنفال، وكان تفسير العلماء للمطر الذي ورد في الآيات التي لم يصرح فيها بطبيعته أن المقصود به الحجارة أو نوع من العذاب؛ وليس المطر الحقيقي، ففي آية سورة الفرقان نجد أن مطر السوء عند المفسرين هو الحجارة التي أنزلها الله عليهم (الطبري، 2001، ج 17 ص 457. و الزمخشري، 1998، ج 4 ص 352. والقرطبي، 2006، ج 15 ص 415) ، الأمر نفسه في آية سورة الأعراف (الطبري، 2001، ج 10 ص 309. و البغوي، 1409هـ، مجلد 3 ص 256) ، وسورة الشعراء (الطبري، 2001، ج 17 ص 632. وابن كثير، د.ت، ج 6 ص 158).

، وسورة النمل (الطبري، 2001، ج18 ص 98. وابن كثير، د.ت، ج6 ص201) ، واستخدام لفظ المطر مجازاً في حال اقترانه بالقوة والشدة ورد في الشعر الجاهلي كما رأينا في تعبير النابغة الذبياني (يمطر الشِّرا).

- **الحسبان** : ورد لفظ الحسبان في القرآن الكريم في موضع واحد هو قوله تعالى : ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يَأْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ (آية 40 ، سورة الكهف) . والحسبان في اللغة كما جاء في (لسان العرب) هو الحساب (ابن منظور، د.ت، مادة (حسب.)) ، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ والحسبان كذلك العذاب والبلاء (ابن منظور، د.ت، مادة: حسب). والحسبان في آية الكهف عند الطبري عذاب من السماء ترمي به رمياً (الطبري، 2001، ج15 ص 265) ، ويرى ابن كثير أن الظاهر " أنه مطر عظيم مزعج ، يقلع زرعها وأشجارها ؛ ولهذا قال : فتصبح صعيداً زلقاً، أي : بلقاً تراباً أملس ، لا يثبت فيه قدم" (ابن كثير، د.ت، ج5 ص 159). ويرى السعدي أنه "عذاب بمطر عظيم أو غيره" (السعدي، 2002، ص 555). ولعل ما أشار إليه ابن كثير من أن هذا العذاب مطر عظيم يقلع الزرع والأشجار مستنداً إلى ما انتهى إليه وصف الآية للجنة التي أرسل عليها الحسبان بأن أصبحت صعيداً زلقاً، يرجح أن يكون الحسبان مطراً عظيماً أنتج سيلاً اقتلع الزرع والشجر، فأصبحت الأرض ملساء زلقة.

— **الصيب** : جاء ذكر الصيب في القرآن الكريم في موضع واحد في قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة/19). ويرى الزمخشري أن القرآن هنا " شبه دين الإسلام بالصيب، لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر، وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات، وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق، وما يصيب الكفرة من الأفزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق، والمعنى: أو كمثل ذوي صيب، والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا " (الزمخشري، 1998، ج1 ص199).

— **الطل** : ورد ذكر الطل في القرآن الكريم في موضع واحد هو قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْبِيئًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة/256). يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية: " فطل : فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها، ومثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة، ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل، وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة، فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة" (الزمخشري، 1998، ج1 ص497) .

— **الغيث** : ورد ذكر الغيث في القرآن الكريم في مواضع أربعة، ثلاثة منها في سياق التعبير عن رحمة الله ونعمه، وقدرته، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ (يوسف/49) ، وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۗ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (الشورى/28) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۚ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّأَدَا تَكْسِبُ غَدًا ۚ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (لقمان/34) . ويلاحظ هنا أن القرآن الكريم يستخدم لفظ الغيث في سياق التعبير عن شدة الحاجة للمطر، وقدره الله تعالى على إنزاله. أما الموضع الرابع؛ فكان في سياق ضرب الأمثال في قوله تعالى : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۚ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۚ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (الحديد/20) .

— **الماء** : ورد لفظ (ماء) مقصوداً به المطر في خمسة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم، وهذه المواضع هي :

— (الانعام/99) . (النبا/14) ، (عبس/25) . (البقرة/22، و164). (الأعراف/57). (الأنفال/11) . (يونس/24) . (الرعد/17) . (إبراهيم/32) . (الجحر/22) . (النحل/10، و65). (الكهف/45) . (الحج/5)

(المؤمنون/18) . (الفرقان/48) . (النمل/60) . (العنكبوت/63) . (الروم/24) . (فاطر/27) . (فصلت/39) . (الزخرف/11) . (ق/9) . (القمر/11) . ويلاحظ في هذه المواضع أن ورود الماء بمعنى المطر يأتي مرتبطاً بالسماء، فانه ينزله من السماء، وهو دال على عظمة الله وقدرته ونعمه ورحمته، وسنذكر عدداً من هذه الآيات عند الحديث عن سياقات ورود الألفاظ الدالة على المطر في القرآن الكريم.

— الوابل : ورد لفظ وابل في قوله تعالى : ﴿كَمْثَلِ جَنَّةٍ بَرْقَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ (البقرة/265) ، والوابل : المطر العظيم القطر (الزمخشري، 1998، ج1 ص497).

— الودق : وجاء ذكر الودق في القرآن الكريم في موضعين في سياق الحديث عن قدرة الله تعالى وعظمته، الموضع الأول في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الودقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ ۚ يَكَادُ سَنًا بَرَقَهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ (النور/43). والموضع الثاني في الآية 48 من سورة الروم.

— الرجع : ورد لفظ "الرجع" في القرآن الكريم في موضع واحد ، في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ (الطارق/11) ، والرجع في الآية يعني المطر (- الزمخشري، 1998، ج6 ص355). وقال الرازي : " قال الزجاج : الرجع هو المطر ؛ لأنه يجيء ويتكرر. واعلم أن كلام الزجاج وسائر أئمة اللغة صريح في أن الرجع ليس اسماً موضوعاً للمطر ، بل سُمِّي رجعاً على سبيل المجاز (الرازي، 1981، ج31 ص133) .

— الرحمة: ورد لفظ الرحمة الذي فُسر بالمطر في القرآن الكريم في خمسة مواضع :

— قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الاعراف/56) ، وورد في تفسير الطبري أن بعض المفسرين رأى أن المقصود بالرحمة هنا المطر (الطبري، 2001، ج10 ص251) ، وممن قال بذلك الأخفش (القرطبي، 2006، ج9 ص250).

— قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُفِّتَ لِبَدٌ مِّمَّيْنِ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الاعراف/57) . وقد رأى عدد من المفسرين أن "الرحمة" في هذه الآية تعني المطر (الطبري، 2001، ج10 ص254. والزمخشري، 1998، ج2 ص452. وابن كثير، دت، ج3 ص430) .

— قوله تعالى : ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الروم/50) . ويرى الطبري أن الرحمة هنا بمعنى الغيث (الطبري، 2001، ج18 ص522) ، ويرى ابن كثير كذلك أن معنى الرحمة في الآية المطر (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6 ص323).

— قوله تعالى : ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النمل/63) . وهذه الآية تشبه آية سورة الأعراف، ورأى فيها عدد من المفسرين أن الرحمة هنا بمعنى المطر أيضاً (الطبري، 2001، ج18 ص103 . والبيهقي، 1409هـ، ج6 ص173).

— قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى/28) . واختلف المفسرون في المقصود بالرحمة في هذه الآية فمنهم من رأى أنها المطر (البيهقي، 1409هـ، ج7 ص195) ، ومنهم من رأى أن المقصود بركات الغيث ومنافعه (السعدي، 2002، ص894)، وفي جميع الأحوال يتضح من الآية ربط المطر بالرحمة.

— الرزق : ورد في اللسان : "جعل الرزق مطراً لأن الرزق عنه يكون... وهذا اتساع في اللغة" ابن منظور.د.ت،

مادة : (رزق).. وورد لفظ الرزق بمعنى المطر في القرآن الكريم في المواضع الآتية :

— قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ (غافر/13) ، والرزق في الآية عند الطبري هو الغيث الطبري، (2001، ج2 ص 294).

— قوله تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات/22) . يقول الزمخشري عن الرزق في هذه الآية إنه " المطر ، لأنه سبب الأقوات" (الزمخشري، 1998، ج 5 ص 614) .

— قوله تعالى : ﴿ وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الجاثية/5) . والرزق عند الطبري هو الغيث (الطبري، 2001، ج 21 ص 74) .

— السماء : ورد في (لسان العرب) أن من معاني السماء المطر (ابن منظور، لسان العرب، مادة: سمو) .

وورد لفظ السماء بمعنى المطر في القرآن الكريم كما يذكر القرطبي (القرطبي، 2006، ج21 ص254) في قوله تعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ (نوح /10-11).

2.2- سياقات ورود المطر في القرآن الكريم

بعد تتبع السياقات التي ورد فيها ذكر المطر في القرآن الكريم يمكن القول إنها وردت في ثلاثة سياقات:

1. سياق العذاب والعقاب والانتقام .
2. سياق الحديث عن قدرة الله وعظمته ونعمه .
3. سياق ضرب الأمثلة .

أولاً : سياق العذاب والعقاب والانتقام: ورد ذكر المطر وما يدل عليه في القرآن الكريم في سياق انتقام الله وعذابه الذي أرسله على الأقوام الكافرين ، وقد ورد ذلك في الآيات التي استخدم فيها القرآن لفظ المطر ، ولفظ الحسبان في رأي عدد من المفسرين، ويمكن أن نلاحظ ما يأتي :

1— في عدد من الآيات لم يوضح القرآن الكريم صورة المطر وإنما ذكر المطر بالتكثير مثل قوله تعالى : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الاعراف/84) .

2— في تلك الآيات نجد أنَّ القرآن الكريم استخدم لفظ المطر بصورة مجازية واضحة، فقد صرح أن المطر كان حجارة . ولعل حروف لفظ المطر وقوته كان مناسباً لاستخدامه مجازياً في إسقاط أنواع العذاب على الكافرين .

ثانياً : إثبات قدرة الله وعظمته ونعمه : وقد تمثل ذلك في عدد من الآيات منها على سبيل المثال قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۚ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ (لقمان/10)، وفي قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ (ق/9)، وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۚ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ (النور/43) .

وربط القرآن الكريم بين قدرة الله ونعمه، ومنها المطر، بوحدانيته، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۚ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة/22) ، فالآية الكريمة تشير إلى قدرة الله وفضله وإنعامه على الناس في إنزال المطر من السحاب وإخراج الثمرات، وتربط ذلك بوجوب توحيده .

واهتم القرآن الكريم ببيان قدرة الله على الإنبات والإحياء، ثم الإمامة، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي

ذَلِكَ لِيُذَكِّرَ لِلْأُولَى الْأَنْبَابِ ﴿ (الزمر/21) . ودلل القرآن من خلال بيان قدرة الله على إحياء بعد الإماتة على قدرته تعالى على إحياء الموتى وبعثهم، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُفِّتَ بِهِ لُجُجٌ مَّيِّتٌ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿ [57/الأعراف] .

ثالثاً : سياق ضرب الأمثلة: ذكر المطر في القرآن الكريم في سياق ضرب الأمثلة من مثل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُبْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿ (البقرة/ 264)، وورد ذكر المطر في سياق ضرب الأمثلة أيضاً في: (البقرة/265)، و(يونس/24)، و(الكهف/ 45) ، و(الحديد/20) .

3- النتائج ومناقشتها:

بعد النظر في الألفاظ الدالة على المطر التي وردت في القرآن الكريم والشعر الجاهلي، والسياقات التي وردت فيها ، يمكن أن نخلص إلى ما يأتي:

أولاً: ورد عدد من الألفاظ في الشعر الجاهلي بمعنى مقارب لما ورد في القرآن الكريم مثل الصيب، والوابل، والطل، والودق، وهذا الأمر منسجم مع أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وعلى سنن العرب في كلامها.

ثانياً: ظهر هناك خلاف أو شيء من خلاف في دلالة بعض الألفاظ وسياق استخدامها ، وهي:

- المطر : إذ ورد لفظ المطر ومشتقاته في القرآن الكريم مرتبطاً بالعذاب والأذى ، وكان أغلب ذلك في صورة المجاز، إذ كان المقصود بالمطر في تلك المواضع حجارة أسقطها الله على الكافرين كما ذكر القرآن ذلك صراحة في مواضع، وذكر المفسرون أن المقصود بالمطر في المواضع التي لم تذكر فيها الحجارة صراحة ، هو أن الله تعالى عاقب الكافرين بأن أسقط عليهم حجارة من السماء . أما لفظ المطر ومشتقاته في الشعر الجاهلي فقد ورد في سياقات ودلالات مختلفة غير منحصرة بالعذاب والأذى ، فقد وردت في التعبير عن القوة، وفي التعبير عن العوامل القادرة على محو آثار المنزل، لكنه أتى أيضاً مرتبطاً بما هو خير. ولعل السؤال الذي يطرح هنا هو لماذا ارتبطت دلالات لفظ المطر ومشتقاته في القرآن الكريم بالعذاب والأذى ولم يكن الأمر كذلك في الشعر الجاهلي بالرغم من أن القرآن نزل بلسان عربي وعلى سنن العرب في كلامها ؟

يمكن أن تكون الإجابة في أن القرآن الكريم بالرغم من نزوله بلسان العرب وعلى سننهم في القول إلا أن له شخصية لغوية مستقلة تميزت عن استخدام العرب للغتهم ، وهذه الشخصية تنطلق من الرؤية القرآنية التي تخالف الرؤية التي انطلق منها الشعر الجاهلي ، وكان من دلائل ذلك التغير الذي أصاب دلالات الألفاظ ، ومثل ذلك ما نجده هنا ، إذ خصَّص القرآن لفظة المطر ومشتقاتها للدلالة على العذاب والأذى المرتبط بالقدرة الإلهية في إطار الرؤية القرآنية التي تنطلق من أن ظواهر الطبيعة تكون بأمر الله ولغاية ، وأن هذه الظواهر قد تكون نعمة من الله تعالى وقد تكون نقمة منه.

الغيث : استخدم الغيث في القرآن الكريم والشعر الجاهلي بمعنى المطر، ولكن يلاحظ في الاستخدام القرآني للغيث أمران، الأول: أن القرآن جعل استخدام الغيث في في ثلاثة من المواضع الأربعة التي ورد فيها في سياق التعبير عن الحاجة، وقدرة الله تعالى، وبذلك كان أقرب إلى معنى الغوث، وكأن القرآن الكريم قام بتخصيص لفظ الغيث للدلالة على المطر بأن جعله مرتبطاً بالغوث، ولم يستخدمه بمعنى المطر عامة كما استخدمه الشاعر الجاهلي. والثاني: أن القرآن الكريم ربط هذا الغوث برحمة الله وقدرته في ثلاثة من المواضع الأربعة، ولم يجعله ظاهرة طبيعية معبراً في ذلك عن الرؤية القرآنية للكون والحياة.

الماء : ورد لفظ الماء المقترن بالنزول من السماء للدلالة على المطر في القرآن الكريم وفي الشعر الجاهلي أيضاً ، لكن يلاحظ أن لفظ الماء الدال على المطر كان أكثر الألفاظ وروداً للتعبير عن المطر في القرآن الكريم، فقد ورد في خمسة وعشرين موضعاً كما ذكرنا، ولم يكن هذا الشيوخ واضحاً فيما تتبعنا من الشعر الجاهلي ، ويمكن تفسير هذا الأمر في ضوء ما نلاحظ من أن الماء الدال على المطر في القرآن الكريم عادة ما يكون مقروناً بإنزال الله له من السماء، أي أنه مرتبط بإرادة الله، وهو يرد في سياق التعبير عن عظمة الله وقدرته ونعمه، فالمطر ليس ظاهرة طبيعية مستقلة تأتي بها الرياح ، إنما هو الماء الذي ينزله الله بإرادته لغاية يقررها هو ، ولهذا كان لفظ الماء المقترن بالنزول من السماء أكثر الألفاظ الدالة على المطر في القرآن الكريم ، وهو أكثر شيوعاً مما ورد عند الشعراء الجاهليين ، وذلك ينسجم مع الرؤية القرآنية الجديدة التي تربط ظواهر الكون بالله تعالى، فالله هو المتحكم في هذه الظواهر، وإرادته يفيد الإنسان منها ، أو يمنع ضررها عنه ، لذلك تؤكد تلك الآيات على وجوب الخضوع لله الذي بيده التحكم بهذه الظواهر .

السماء : ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم للدلالة على المطر الذي يرسله الله تعالى لخلق **﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ ﴾** (نوح/11، وهود/52)، وورد في الشعر الجاهلي أيضاً، وكان استخدام لفظ السماء الدال على المطر كان على سبيل المجاز في القرآن الكريم والشعر الجاهلي، وهذا ينسجم مع أن القرآن نزل على سنن العرب، لكن يلاحظ أن لفظ السماء في القرآن الكريم ارتبط بالذات الإلهية ، ولم يكن كذلك في الشعر .

ثانياً: وردت ألفاظ دالة على المطر في القرآن الكريم لم ترد في الشعر الجاهلي، وهي :

- الرزق : استخدم القرآن الكريم الرزق للدلالة على المطر بصورة مجازية، وكان هذا موافقاً للرؤية القرآنية التي تؤكد أن الرزق من عند الله ، وأن المطر ليس مجرد ظاهرة طبيعية ، إنما هو أمر مرتبط بالله تعالى ينزله لغايات منها العذاب، ومنها المكافاة، ومنها الرحمة، وفي ضوء ذلك يبدو من الطبيعي أن لا يرد الرزق للدلالة على المطر في الشعر الجاهلي .

- الرُّجْع : جاء وصف السماء في القرآن الكريم بأنها ذات الرجوع، أي أنها تعيد المطر والحياة إلى الأرض بعد فترة الجفاف، وهذا كله يشير إلى قدرة الله على إحياء الأرض وتجديدها بعد الجفاف أو الخراب، لذلك يقسم الله بالسماء التي تعيد المطر مرة بعد مرة، وفي ذلك انسجام مع ما ذكره القرآن من قدرة الله تعالى على الإحياء بعد الموت.

- الرَّحْمَة : ورد لفظ الرحمة للدلالة على المطر في عدد من الآيات التي أشرنا إليها، ولعل ورود لفظ الرحمة للدلالة على المطر في القرآن الكريم منبثق من الرؤية القرآنية التي ذكرنا من أن المطر مرتبط بالله تعالى الخالق المدبر لهذا الكون ، وهو من نعمه ورحمته لخلق، بما يخالف رؤية الشاعر الجاهلي التي ترى المطر ظاهرة طبيعية.

ثالثاً: وردت ألفاظ دالة على المطر في الشعر الجاهلي لم ترد في القرآن الكريم

ورد في الشعر الجاهلي ألفاظ تدل على المطر لم ترد في القرآن الكريم، من مثل الرِّشِّ، والرِّذاذ، والهَطْلُ، والسَّبَلُ، و لعل السبب في ورود بعض ألفاظ المطر في الشعر الجاهلي وعدم ورودها في القرآن الكريم ، هو أن القرآن ليس كتاباً معجماً بل هو كتاب يحمل رؤية وله غاية، ولا يستخدم الألفاظ إلا تلك التي تؤدي الغرض المرتبط بالرؤية والغاية، أما الشعر الجاهلي فيعكس اهتمام الشعراء في تصوير واقعهم اليومي وأثر المطر على حياتهم ، وهو تعبير عن حياتهم اليومية وبيئتهم.

رابعاً: يتضح للناظر في ظاهر السياقات التي جاء فيها ذكر المطر في القرآن الكريم والشعر الجاهلي وجود اختلاف كبير بين تلك السياقات، ويمكن تفسير ذلك بأن القرآن الكريم كتاب دعوة وهداية جاء ليخرج الناس من الباطل الى الحق ومن الظلمات الى النور، أما الشعر الجاهلي فهو يعبر عن حياة الإنسان ، ويظهر أزماته وما انشغل فيه من صراعات، ويحمل رؤية الشعراء للحياة . وإذا نظرنا الى السياقات التي جاء فيه ذكر المطر في القرآن الكريم نجدها كلها تخدم غايته في إحداث تغيير عميق في رؤية الإنسان الجاهلي للكون والحياة، وإخراجه من أزماته المختلفة، فجاء المطر في سياق تعداد نعم الله تعالى على الكون والانسان ، فالمطر ليس ظاهرة طبيعية منفصلة عن إرادة الله، فهي من نعمه التي أسبغها على الإنسان، وهذه النعمة تستدعي شكر الله المنعم والعبودية له، كذلك جاء المطر في سياق التدليل على قدرة الله وعظمته، فكل ما في الكون هو من الله وبأمره، والمطر مثل من تلك القدرة العظيمة يشهد بعظم الخالق، وهذا يقتضي ان يخضع الانسان وبقية الكائنات لهذه القدرة . وجاء ذكر المطر في سياق التدليل على قدرة الله على إحياء الموتى، وتم التأكيد على تلك القدرة لمواجهة تلك الرؤية التي يحملها الإنسان الجاهلي، وعبر عنها الشعراء، وهي أن لا حياة بعد الموت، وقد واجه القرآن الكريم جدلاً من المشركين حول وجود الحياة الآخرة كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ (الواقعة/47). فكان من الأساليب التي ردّ فيها القرآن الكريم على ادّعاءاتهم استخدام قدرة الله على إنزال المطر وإحياء الأرض الميتة دليلاً على قدرته على إحياء الموتى ليدحض إنكار المشركين وجود الحياة الآخرة، ويؤكد قدرة الله على إحياء العظام وهي رميم : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (فصلت/39) .

4-الخلاصة:

في ضوء كل ما سبق يمكن أن نخلص إلى أنه بالرغم من أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين وعلى سنن العرب في كلامها إلا أن الرؤية القرآنية المختلفة عن الرؤية الجاهلية التي تمثلت في رؤية الشاعر الجاهلي أحدثت تغييراً واضحاً في تناول القرآن الكريم لموضوع ألفاظ المطر وسياق ورودها في النص القرآني، وتمثل ذلك في مجال الألفاظ باستخدام القرآن الكريم عدداً من الألفاظ الجديدة الدالة على المطر مثل الرزق والرحمة، وشيوع التعبير عن المطر بالماء المنزل من السماء بما يربط المطر بالذات الإلهية. أما في مجال السياقات التي ورد فيها ذكر المطر فكان هناك تغيير جذري مرتبط برؤية القرآن الكريم وغايته المتمثلة في هداية الناس، فاستخدم المطر وسيلة لبيان قدرة الله ونعمه، وربطه بالإرادة الإلهية.

- المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

- الأخفش الأصغر، أبو علي الحسن، 1984، كتاب الاختيارين، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة.

- الأسود بن يعفر، 1970، الديوان، صنعه: نوري حموي القيسي، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام.

- الأصمعي، عبد الملك بن قريب، 1993، الأصمعيات، تحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون ط5، بيروت.

- امرؤ القيس، 1990، الديوان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط5، القاهرة، دار المعارف.

- بشر بن أبي خازم، 1960، الديوان، تحقيق: عزة حسن، دمشق، وزارة الثقافة.

- البكري، حسين، 2011، الألفاظ المعبرة عن المطر في القرآن الكريم دراسة دلالية. مجلة كلية التربية للبنات،، مجلد 22.

- البغوي، أبو محمد الحسين، 1409هـ، معالم التنزيل، الرياض، دار طيبة.

- تأبط شراً، 1984، ديوان تأبط شراً وأخباره، جمع وتحقيق: عي ذو الفقار شاكر، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

- جابر، صلاح، معجم ألفاظ المطر، 2009، مجلة أهل البيت، جامعة كربلاء، العدد السابع، ص186-215.

- ابن حجر العسقلاني، الحافظ أحمد بن علي، 1986، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، القاهرة، دار الريان للتراث.

- حسان بن ثابت، 1994، الديوان، تحقيق: عبد مهنا، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية.

- الرازي، فخر الدين بن ضياء الدين، 1981، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، بيروت، دار الفكر.

- ربيعة بن مقروم، 1999، الديوان، تحقيق: تماضر حرفوش،، بيروت، دار صادر.

- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود، 1998، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل الموجود وعلي معوض، الرياض، مكتبة العبيكان.

- زهير بن أبي سلمى، 1980، شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة،، ط3، بيروت، دار الآفاق الجديدة.

- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، 2002، تيسير الكريم الرحمن في كلام المّان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، ط2، الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع.

- أبو سويلم، أنور عليان، 1987، المطر في الشعر الجاهلي، ط1،، بيروت، دار عمار ودار الجيل.

- الشاطبي، أبو اسحاق بن موسى، د. ت، الموافقات في أصول الشريعة، القاهرة، مطبعة الشرق الأدنى،.

- الطبري، محمد بن جرير، 2001، جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير الطبري)، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، دار هجر.

- عامر بن الطفيل، 1979، الديوان، بيروت، دار صادر.

- ابن عباس، عبد الله، 1968، سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس (مستل من مجلة رسال الإسلام)، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، بغداد، مطبعة المعارف.
- عبيد بن الأبرص، 1994، الديوان، شرح: أشرف عدرة، بيروت، دار الكتاب العربي.
- عنترة بن شداد، 1992، شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي، تحقيق: مجيد طراد، بيروت، دار الكتاب العربي.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، 2006، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- قيس بن الحدادية، 1979، شعر قيس بن الحدادية، تحقيق وتقديم: حاتم الضامن، مجاة المورد، بغداد، العدد 2، ص 205.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، د.ت.، تفسير القرآن العظيم، سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، القاهرة.
- لبيد بن ربيعة، 1993، الديوان، تحقيق: حنا نصر الحتي، بيروت، دار الكتاب العربي.
- المتنقب العبدى، 1971، الديوان، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، القاهرة، معهد المخطوطات العربية.
- المتلمس الضبعي، 1970، الديوان، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، القاهرة، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، د.ت، لسان العرب، القاهرة، دار المعارف.
- النابغة الذبياني، د.ت، الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، القاهرة، دار المعارف.
- الهدية، سعيد، (2020)، آيات الغيث في القرآن الكريم : دراسة موضوعية، المجلة العلمية لكلية الدراسات الإسلامية، مجلد 39، جامعة الأزهر، مصر، ص395-440.